(١٦)

أمريكا
في قبضة العصابات

obeikan.com

يتساءل الكاتب الأمريكي الأسود أنيت جوردون ريد: «هل يمكن لمن عانى من قمع وقهر العبودية لعقود طويلة أن ينسى التاريخ، والحاضر ما زال لا يقل قسوة؟» ويستذكر في مقالة نشرها في فبراير/شباط ٢٠٠٣ في صحيفة «ناشيونال نيو جرافيك»، تلك الأيام التي كان العبيد فيها يورثون من الأب إلى الابن إلى الحفيد كالماشية.

وعن عهد العبودية الذي امتد في الولايات المتحدة الأمريكية لأكثر من مائتي عام، يقول الكاتب إن الأثرياء البيض كانوا يشترون عبيداً من السود يسخّرونهم لخدمتهم ولحرث أراضيهم. وعندما يموت صاحب العبيد، يتقاسمهم ورثته بالقرعة كما يتقاسمون قطيع الغنم، دون أي اعتبار للعلاقات الأسرية. فلم يكن الرجل الأبيض يفكر في أن يبقي على أفراد العائلة الواحدة معاً ليظل الزوج والزوجة والأبناء في خدمة رجل واحد؛ بل كان أفراد العائلة الواحدة من العبيد يوزعون على مجموع الورثة، فيصبح كل واحد منهم في منطقة، وقد لا يعود الأخ يلتقي أخاه ولا الأم أولادها طيلة العمر. ويقول ريد: «كلما قرأت ذلك، شعرت بالصدمة لما تكشفه هذه المرحلة من قسوة العبودية الأمريكية: كيف يتحكم فريق من البيض بمصير عائلات بأكملها من السود، وكيف يفرّقون شملهم!».(١)

ويتابع: «في مجتمع يعامل البشر كممتلكات ويضع حق الملكية الخاصة فوق القيم، ويُحرم الإنسان المستعبَد حتى من أن يحلم باستمرار روابطه الإنسانية البدائية؛ وفي ظل ثقافة الهيمنة التي سادت المجتمع الأبيض، لم يشعر البيض بوجود أية قيمة أو رابطة مقدسة في حياة السود. وأنا كإنسان أسود، لا أستطيع أن أفاضل بين العبودية الأمريكية وبين التمييز العنصري، والتوسع الجغرافي والتطور الاقتصادي على مبدأ أحقية الرجل الأبيض في ذلك بسبب تفوقه المزعوم. وكانت هذه النظرة إلى الشعوب الأخرى هي الأسلوب الذي انتهجته الولايات المتحدة لبلوغ ما تريد. ليس ذلك فحسب، بل نادى البيض منذ زمن بعيد بإخراج السود من أمريكا لتجنب التلوث الذي تسببه تلك الشعوب السوداء. كما عانى سكان البلاد الأصليون، الهنود الحمر، قبل ذلك من المعتقدات الفوقية للرجل الأبيض التي لم تكتفِ باعتبار هؤلاء قذرين وهمجيين فحسب، ولكنها اعتبرتهم دونيين في معتقداتهم وقيمهم». فالولايات المتحدة الأمريكية هي أول دولة في العالم تولد عنصرية، وأول دولة تولد رأسمالية. وهذا ليس مصادفة، كما تقول الأكاديمية «اليزابيث مارتينيه» التي ترى أن تاريخ

(١) جريدة الخليج الإماراتية العدد ٨٦٨٤، ٢٧ فبراير/شباط ٢٠٠٣، بالأساس عن مقالة للكاتب الأمريكي الأسود «أنيت جوردون ريد».

الولايات المتحدة يظهر أن الرأسمالية والعنصرية وجهان لعملة واحدة.

وقد أظهر آخر تقرير صدر عن مؤسسة حقوقية معنية بدراسة الفقر أرقاماً مذهلة وانتشاراً سريعاً للمنظمات العنصرية والإرهابية التي تضاعف عددها خلال عام واحد بنسبة ٢٤٤٪ ففي العام ٢٠٠٨، كان عددها ١٤٩ منظمة تضم ٤٢ قوة ميليشيا؛ وفي عام ٢٠٠٩ بلغ عدد المنظمات العنصرية المتطرفة ٥١٢ منظمة تتبعها ١٢٧ قوة ميليشا مسلحة ومدربة، لدرجة أن الأهالي اعتقدوا أن جيشاً قد حط في مدنهم بمروحياته وقواته.

وبالنظر إلى توزيع "خارطة الكراهية والعنصرية والإرهاب" هذه سنجد المفاجأه الأولى وهي وجود عدد من أخطر العصابات وأشدّها ضراوةً وعنصرية وإرهاباً على بعد دقائق من البيت الأبيض . ففي واشنطن وحدها توجد ٩ عصابات متطرفة. وفي الولايتين الملاصقتين (فيرجينيا وميريلاند) سنجد في ميريلاند ١٣ منظمة عنصرية متطرفة، وفي فيرجينيا وحدها ٢٢ منظمة مماثلة. أما في باقي الولايات، لاسيما الجنوبية، فحدّث ولا حرج. ففي تكساس وحدها هناك ٦٦ منظمة، وفي كاليفورنيا ٦٠ منظمة، وفي نيويورك ٤٤ منظمة إرهابية وفي ألاباما ٣٢ منظمة، وجورجيا ٣٧ منظمة وجنوب كارولينا ٣٦ منظمة، وفلوريدا ٥١ منظمة. وتتوزع باقي هذه المنظمات العنصرية الإرهابية ما بين واحدة في ولاية نورث داكوتا (على الحدود مع كندا) وإلينسوي – ولاية الرئيس باراك أوباما – ٢٨ منظمة وميسوري ٣١ منظمة.(١)

وبما أنه من الصعوبة بمكان رصد ما يزيد عن خمسمائة منظمة في مساحة محدودة، فقد وقع الاختيار على عينة لبعض هذه المنظمات؛ وسنبدأ بأشدها ضراوة، وهي منظمة من العنصريين المتنوعين حليقي الرؤوس من ذوي البشرة البيضاء الذين انتشروا في أوائل الثمانينيات، يستهدفون الملونين. وعادة ما يرتدي هؤلاء أحذية طويلة الساق (بوت) ذات أربطة حمراء، في إشارة إلى الدم ومزودة بقطع من الفولاذ، يستخدمونها لضرب عنق ورأس الضحية، كما يستخدمون لذلك المطارق أيضاً. وعادة ما يشِمُ هؤلاء أذرعهم بعلامة صليب محاط بوشم أحمر اللون بعبارة «H+B» («دم + شرف») باعتبارها فخراً، حسب معتقدهم.

ومؤخراً، غزا هؤلاء الإنترنت في حملات لضم المزيد من الأمريكيين إليهم، وقد نجحوا في ذلك إلى حد كبير. ولهذه العصابة شعارات بحروف وأرقام رمزية. فالرقم (٨٨) يعنى «هايل هتلر» (H+H) (يحيا هتلر)، حيث أن الحرف H كما هو معروف

(١) جريدة الخليج الإماراتية، العدد ١١٢٩٥ ـ ٢٢/٤/٢٠١٠، بالأساس عن تقرير لمؤسسة حقوقية.

هو الحرف الثامن في أبجدية اللغة الإنكليزية. وعلى نفس النسق تجدهم يستخدمون الرقم ٢٨ (أي الدم والشرف (B+H). وعادة ما يقيم أفرادها ما يسمونه «بوت بارتي» أي حفلات ضرب الضحية بالأحذية بمنتهى الوحشية حتى الموت، وذلك بمشاركة عضوات بالمنظمة يطلق عليهن لقب «الريشة الخشبية». ويترك هؤلاء علامات مميزة على أجساد ضحاياهم أبرزها تحطيم الفك. كما أن لهم تعبيراتهم الخاصة التي تشكل قاموساً خاصة بهم مثل (RAHOWA) وهي اختصار لعبارة «الحرب العرقية المقدسة». وعادة ما يقوم هؤلاء بوشم رؤوسهم وأيديهم وأماكن في أجسادهم بهذه المختصرات أو بأشكال حيوانات. وأفراد هذه المنظمة موجودون في ولاية فرجينيا المجاورة للعاصمة الأمريكية.(١)

ثم تأتي منظمة «إمبريال كلانز»، وهي ثاني أكبر المنظمات العنصرية الشهيرة المعروفة باسم (KKK) "كو كلوكس كلان"، التي ظهرت بعد الحرب الأهلية لمناهضة حصول الأمريكيين من أصول أفريقية على حقوقهم المدنية والتي اشتهرت بشنق ضحاياها. ويؤمن أفراد هذه المنظمة بتفوق العرق الأبيض ويستعينون بتفسيراتهم الخاصة بالكتاب المقدس لاستهداف ضحاياهم، ويقيمون مهرجاناً سنوياً بمشاركة حليقي الرؤوس والنازيين الجدد. كما أن هؤلاء يشتبكون أيضاً حتى في ما بينهم حيث لا تخلو مهرجاناتهم الموسمية العنصرية من معارك يموت فيها أعضاء آخرون جراء الضرب.

ومثل العديد من المنظمات العنصرية، استهدفت هذه المنظمة مؤخراً المهاجرين، وسجلت اعتداءات على أمريكيين بيض لمجرّد أنهم كانوا يتحدثون باللغة الإسبانية. وتعتبر منظمة "كوكلوكس كلان" الأقدم والأسواء سمعة بسبب الوحشية في مهاجمتها لضحاياها وانتزاع هؤلاء الضحايا أحياناً من منازلهم لشنقهم أمام تلك المنازل. وهؤلاء معروفون بلباسهم وأقنعتهم البيضاء وقاموا بقتل الكثيرين بولاية ألاباما، إضافة إلى قيامهم بأعمال تفجير متعددة. وعادة ما تختفي هذه المنظمة ثم تعاود الظهور، ولكنها عاودت الظهور مجدداً في سبعينيات القرن الماضي، وهي الحقبة التي تصاعد فيها تطرف اليمين المسيحي الأمريكي والمحافظين الجدد.

وشكل هؤلاء تحديداً "نواة عشرات المنظمات" التي اتخذت لنفسها أسماء مختلفة وانتشرت في أنحاء الولايات المتحدة، متخذة شعاراً لها من الحروف (AKIA)، وهي كلمة السر الخاصة بهم وتعني «أنا عنصري»، وكلمة (AYAK) وتعني هل أنت من

(١) المصدر نفسه.

الكلانز (عنصري)، و (KBI) وتعني مكتب التحقيقات والتحري التابع لهم، (اصطياد وتحديد الضحايا) وSANBOG وتعني (هناك غرباء يتواجدون قريباً) وهي إشارة لتوخي الحذر.

وهناك منظمة الهوية المسيحية، وهي منظمة معروفة بمعاداة السامية وعلى عداء مع تيار الإفانجليكان الذي يؤمن بدعم الكيان الصهيوني، ويدعو إلى تجمع كل اليهود فيه كضرورة لظهور المسيح.

جماعة إخوان الكلات المنبثقة عن (KKK) وهي أكثر المنظمات انتشاراً في الأراضي الأمريكية. ويركز هؤلاء هجماتهم على المهاجرين ويترأس منظمتهم أحد حليقي الرؤوس السابقين بعد مقتل زعيم المنظمة في إحدى الهجمات العنصرية التي شنتها في نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠٠٦. وتمكنت هذه المنظمة من توسيع نفوذها، تحديداً إلى كندا.(١)

(١) المصدر نفسه.

obeikan.com